

المنتظر منا اهل البيت

<"xml encoding="UTF-8?">



مما لا شكّ فيه أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد انتقل إلى الرفيق الأعلى والسنة لم تدوّن بكل تفاصيلها في عهده ، وهو منزّه عن التفريط برسالته المحكوم ببقائها إلى يوم القيامة ، ومنزّه أيضاً عن إهمال أمته مع نهاية رأفته بهم وشفقته عليهم ، فكيف يوكلهم إلى القرآن الكريم وحده مع ما فيه من محكم ومتشابه ، ومجمل ومفصل ، وناسخ ومنسوخ ، فضلاً عمّا في آياته من وجوه ومحامل استخدمت للتدليل على صحة الآراء المتباينة كما نحسّ ونلمس عند أرباب المذاهب والفرق الاسلامية . هذا ، مع علمه صلى الله عليه وآله وسلم بأنّه قد كُذِب عليه في حياته فكيف الحال إذن بعد وفاته ، والدليل عليه قوله صلى الله عليه وآله وسلم الذي اتخذ بكتب الدراية مثلاً على التواتر اللفظي : «من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» .

فمن غير المعقول إذن أن يدع النبي شريعته مسرحاً لاجتهادات الآخرين من دون أن يحدد لهم مرجعاً يعلم ما في القرآن حق علمه ، وتكون السنة معلومة بكل تفاصيلها عنده . وهذا هو القدر المنسجم مع طبيعة صيانة الرسالة ، وحفظها ، ومراعاة استمرارها منهجاً وتطبيقاً في الحياة . ومن هنا تتضح أهمية حديث الثقلين (القرآن والعترة) ، وقيمة إرجاع الأمة فيه إلى العترة لأخذ الدين الحق عنهم ، كما تتضح أسباب التأكيد عليه في مناسبات مختلفة ونُوب متفرقة، منها في يوم الغدير ، وآخرها في مرضه الأخير .

فعن زيد بن أسلم ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : «كأنني قد دُعيت فأجبت، إني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر : كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما ، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ، إنّ الله مولاي ، وأنا ولي كل مؤمن . من كنت مولاه فعليّ مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»(1).

وعن أبي سعيد الخدري ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : «إني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلّوا بعدي ، أحدهما أعظم من الآخر : كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الارض ، وعترتي أهل بيتي ، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»(2)، هذا فضلاً عن تأكيده صلى الله عليه وآله وسلم المستمر على الاقتداء بعتريته أهل بيته ، والاهتداء بهديهم ، والتحذير من مخالفتهم ، وذلك بجعلهم تارة كسفن للنجاة ، وأخرى أماناً للأمة ، وثالثة كباب حطّة .

وفي الواقع لم يكن الصحابة بحاجة إلى سؤال واستفسار من النبي لتشخيص المراد بأهل البيت ، وهم يرونه وقد خرج للمباهلة وليس معه غير أصحاب الكساء وهو يقول : «اللهم هؤلاء أهلي» وهم من أكبر الناس معرفة بخصائص هذا الكلام ، وإدراكاً لما ينطوي عليه من قصر واختصاص . وإلا فتسعة أشهر وهي المدّة التي أخبر عنها

ابن عباس في وقوف النبي صلى الله عليه وآله وسلم على باب فاطمة صباح كل يوم وهو يقرأ : (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) (3) كافية لأن يعرف الجميع من هم أهل البيت عليهم السلام .

ومع هذا فلا معنى لسؤالهم واستفسارهم من النبي صلى الله عليه وآله وسلم عمّن يعصموا الأمة بعده من الضلالة إلى يوم القيامة فيما لو تمسكت بهم مع القرآن.

فحاجة الأمة - والصحابة أيضاً - ليس أكثر من تشخيص أولهم ليكون المرجع للقيام بمهمته بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى يأخذ دوره في عصمة الأمة من الضلالة ، وهو بدوره مسؤول عن تعيين من يليه في هذه المهمة، وهكذا حتى يرد آخر عاصم من الضلالة مع القرآن على النبي الحوض.

وإذا علمت أن علياً عليه السلام قد تعيّن بنصوص لاتحصى ، ومنها في حديث الثقلين نفسه ، فليس من الضروري إذن أن يتولّى النبي بنفسه تعيين من يلي أمر الأمة باسمه في كل عصر وجيل ، إن لم نقل إنه غير طبيعي لولا أن تقتضيه بعض الاعتبارات .

فالقياس إذن في معرفة إمام كل عصر وجيل : إمّا أن يكون بتعيينهم دفعة واحدة ، أو بنص السابق على إمامة اللاحق وهو المقياس الطبيعي المألوف الذي دأبت عليه الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ، وعرفته البشرية في سياساتها منذ أقدم العصور وإلى يوم الناس هذا.

وإذا ما عدنا إلى واقع أهل البيت عليهم السلام نجد النصّ قد توفر على إمامتهم بكلا طريقيه، ومن سبّر الواقع التاريخي لسلوكهم علم يقيناً بأنهم ادعوا لانفسهم الإمامة في عرض السلطة الزمنية ، واتخذوا من أنفسهم كما اتخذهم الملايين من أتباعهم أئمة وقادة للمعارضة السلمية للحكم القائم في زمانهم، مع إرشاد كل إمام أتباعه على من يقوم بأمر الإمامة من بعده، وعلى هذا جرت سيرتهم ، فكانوا عرضة للمراقبة والسجون والاستشهاد بالسم تارة ، وفي سوح الجهاد تارة أخرى وعلى أيدي القائمين بالحكم أنفسهم.

ثم لو فرض أنّ أحدهم لم يعيّن لأتباعه من يقوم بأمر الإمامة من بعده، مع فرض توقف النص عليه ، فإنّ معنى ذلك بقاء ذلك الإمام خالداً مع القرآن في كل عصر وجيل ؛ لأنّ دلالة «لن يفترقا حتى يرثي عليّ الحوض» على استمرار وجود إمام من العترة في كل عصر كاستمرار وجود القرآن الكريم ظاهرة واضحة ، ولهذا ذهب ابن حجر إلى القول : «وفي أحاديث الحث على التمسك بأهل البيت إشارة إلى عدم انقطاع متأهل منهم للتمسك به إلى يوم القيامة ، كما أنّ الكتاب العزيز كذلك ، ولهذا كانوا أماناً لأهل الأرض ، ويشهد لذلك الخبر : «في كلّ خَلَفٍ من أمتي عدول من أهل بيتي» (4).

حديث : (من مات ولم يعرف إمام زمانه) :

سُجِّل هذا الحديث - بألفاظٍ مختلفةٍ وكلّها ترجع إلى معنى واحدٍ ومقصودٍ فارد - : في أمّهات كتب الحديث السنية والشيعية ، ويكفي على ذلك اتفاق البخاري ومسلم - من أهل السنة - على روايته (5)، والكليني، والصدوق، ووالده، والحميري، والصفار - من الشيعة الإمامية - على الحديث كما ترى في تخريجه لايبعد القول بتواتره ، وهو لايحتمل التأويل ولاصرف دلالة الواضحة على وجوب معرفة الإمام الحق على كل مسلم ومسلمة ، وإلاّ فإنّ

مصيره ينذر بنهاية مهولة .

ومن ادعى ان المراد بالامام الذي من لايعرفه سيموت ميتة جاهلية هو السلطان أو الحاكم، أو الملك، ونحو ذلك وان كان فاسقاً ظالماً !! فعليه ان يثبت بالدليل ان معرفة الظالم الفاسق من الدين أولاً ، وان يبين للعلاء الثمرة المترتبة على وجوب معرفة الظالم الفاسق بحيث يكون من مات ولم يعرفه مات ميتة جاهلية . وعلى أية حال ، فالحديث يدل على وجود امام حق في كل عصر وجيل، وهذا لا يتم إلا مع القول بوجود الإمام المهدي الذي هو حق ومن ولد فاطمة عليها السلام كما تقدم . ومما يؤيده :

حديث : (إنَّ الارض لاتخلو من قائم لله بحجة) :

وهذا الحديث قد احتج به الطرفان أيضاً وأوردوه من طرق عدّة(6).

وقد رواه كميل بن زياد النخعي الجليل الثقة عن أمير المؤمنين عليه السلام كما في نهج البلاغة ، قال عليه السلام - بعد كلام طويل - : «اللهم بلى ! لا تخلو الارض من قائم لله بحجة» .

وعدم خلو الارض من قائم لله بحجة لا يتم مع فرض عدم ولادة الإمام المهدي عليه السلام ، وقد تنبه لهذا ابن أبي الحديد حتى قال في شرح هذه العبارة : (كي لا يخلو الزمان ممن هو مهيمن لله تعالى على عبادته ، ومسيطر عليهم. وهذا يكاد يكون تصريحاً بمذهب الامامية ، إلا أن اصحابنا يحملونه على ان المراد به الابدال)(7).

وقد فهم ابن حجر العسقلاني منه انه اشارة إلى مهدي أهل البيت عليهم السلام فقال ما نصه : « وفي صلاة عيسى عليه السلام خلف رجل من هذه الأمة مع كونه في آخر الزمان ، وقرب قيام الساعة دلالة للصحيح من الاقوال : ان الأرض لاتخلو من قائم لله بحجة)أقول : ومما يقرب دلالة العبارة في النهج على الإمام المهدي هو ما اتصل بها من كلام أمير المؤمنين عليه السلام . وهذا نصه : «يا كميل بن زياد ، ان هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها ، فاحفظ عني ما أقول لك : الناس ثلاثة: فعالم ربانيّ ، ومتعلم على سبيل النجاة ، وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق - إلى ان قال عليه السلام - اللهم بلى ! لاتخلو الارض من قائم لله بحجة ، إمّا ظاهراً مشهوراً ، واما خائفاً مغموراً ؛ لئلا تبطل حجج الله وبيئاته».ومن هنا جاء في الحديث الصحيح عن الحسين بن أبي العلاء الخفاف قال : «قلت لابي عبدالله عليه السلام : تكون الارض ليس فيها امام ؟ قال : لا... الحديث»(8).

واذا ما أضيف هذا إلى حديث الثقلين ، وحديث من مات ، وحديث (الخلفاء اثنا عشر) الآتي ، علم ان الإمام المهدي لو لم يكن مولوداً حقاً لوجب ان يكون من سبقه حياً إلى قيام الساعة، ولكن لا أحد يقول من المسلمين بحياة امام غير المهدي عليه السلام ثاني عشر أهل البيت وهم من عينت الصحاح عددهم ، وبينت كتب المناقب اسماءهم .

أحاديث : (الخلفاء اثنا عشر) :

أخرج البخاري بسنده عن جابر بن سمرة قال : «سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « يكون اثنا عشر أميراً » ، فقال كلمة لم أسمعها ، فقال أبي : إنه قال : « كلهم من قريش » . وفي صحيح مسلم : « ولا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة ، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش » . وفي مسند أحمد بسنده عن مسروق قال : « كنا جلوساً عند عبدالله بن مسعود وهو يقرأ القرآن ، فقال له رجل : يا أبا عبد الرحمن ! هل سألتم رسول الله صلى الله عليه وسلم كم يملك هذه الأمة من خليفة ؟ فقال عبدالله : ما سألتني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك ، ثم قال : نعم ، ولقد سألتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : اثني عشر كعدة نقباء بني إسرائيل » (9).

ويستفاد من هذه الأحاديث أمور ، وهي :

- 1- إن عدد الأمراء أو الخلفاء لا يتجاوز الاثني عشر وكلهم من قريش بلا خلاف . وهذا العدد ينطبق تماماً مع ماتعتقده الشيعة بعدد الأئمة وهم كلهم من قريش .
قد يقال : ان التعبير بـ (الأمراء أو الخلفاء) لا ينطبق مع واقع الأئمة عليهم السلام ، والجواب واضح جداً ؛ لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنما أراد بذلك الإمرة والاستخلاف باستحقاق ، وحاشاه أن يقصد بذلك معاوية ويزيد ومروان وأمثالهم الذين لعبوا ما شاؤوا بمقدرات الأمة . بل المراد بالخليفة هو من يستمد سلطته من الشارع المقدس ، ولا ينافي ذلك ذهاب السلطنة منهم في واقعها الخارجي لتسلط الآخرين عليهم .
ولهذا جاء في (عون المعبود في شرح سنن أبي داود) ما نصه : «قال التوربشتي : السبيل في هذا الحديث وما يتعقبه في هذا المعنى أنه يحمل على المقسطين منهم ، فإنهم هم المستحقون لاسم الخليفة على الحقيقة ولا يلزم أن يكونوا على الولاء ، وان قُدِّر أنَّهم على الولاء ، فإنَّ المراد منه المسمَّون بها على المجاز ، كذا في المرقاة» .
 - 2 - إنَّ هؤلاء الاثني عشر معنَّيون بالنص كما هو مقتضى تشبيههم بنقباء بني إسرائيل ، قال تعالى : (ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا) (10).
 - 3 - إن هذه الأحاديث تفترض عدم خلو الزمان من الاثني عشر جميعاً ، وأنه لابد من وجود أحدهم ما بقي الدين إلى أن تقوم الساعة .
وقد أخرج مسلم في صحيحه وبنفس الباب ما هو صريح جداً بهذا ، إذ ورد فيه : «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان» . (11).
- وهو كما ترى ينطبق تمام الانطباق على ما تقوله الشيعة بأنَّ الإمام الثاني عشر (المهدي) حيّ كسائر الأحياء ، وأنه لابد من ظهوره في آخر الزمان ليملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً على وفق ما بشر به جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم .
- وغير خاف على أحد أن أهل السنة لم يتفقوا قطّ على تسمية الاثني عشر حتى إنَّ بعضهم اضطر إلى إدخال يزيد بن معاوية ومروان وعبد الملك ونحوهم وصولاً إلى عمر بن عبد العزيز لأجل اكتمال نصاب الاثني عشر . وهو بلا أدنى شكّ تفسير خاطئ غير منسجم مع نص الحديث . إذ يلزم منه خلو جميع العصور بعد عصر عمر بن

عبد العزيز من الخليفة بينما المفروض أنّ الدين لايزال قائماً بوجودهم إلى قيام الساعة .
إنّ أحاديث الخلفاء اثنا عشر تبقى بلا تفسير لو تخلّينا عن حملها على هذا المعنى ، لبداهة ان السلطنة الظاهرية قد تولّاه من قريش أضعاف العدد المنصوص عليه في هذه الأحاديث فضلاً عن انقراضهم أجمع وعدم النصّ على أحد منهم - أمويين أو عباسيين - باتفاق المسلمين . وبهذا الصدد يقول القندوزي الحنفي : (قال بعض المحققين : إنّ الأحاديث الدالة على كون الخلفاء بعده صلى الله عليه وآله وسلم اثني عشر قد اشتهرت من طرق كثيرة ، فبشرح الزمان وتعريف الكون والمكان علم أنّ مراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حديثه هذا ، الأئمة اثنا عشر من أهل بيته وعترته ، إذ لايمكن ان يُحمّل هذا الحديث على الخلفاء بعده من أصحابه لقلّتهم عن اثني عشر ، ولايمكن أن نحمله على الملوك الأمويّة لزيادتهم على اثني عشر ، ولظلمهم الفاحش إلّا عمر بن عبد العزيز ، ولكونهم غير بني هاشم ؛ لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « كلّهم من بني هاشم » ، في رواية عبد الملك ، عن جابر ، وإخفاء صوته صلى الله عليه وآله وسلم في هذا القول يرجّح هذه الرواية : لأنهم لا يُحسنون خلافة بني هاشم . ولايمكن أن يحمل على الملوك العباسية ؛ لزيادتهم على العدد المذكور ، ولقلة رعايتهم...

ويؤيد هذا المعنى - أي : أن مراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم الأئمة الاثنا عشر من أهل بيته - ويرجّحه حديث الثقلين »

ولا يخفى أنّ حديث : (الخلفاء اثنا عشر) قد سبق التسلسل التاريخي للأئمة الاثني عشر وضبط في كتب الصحاح وغيرها قبل تكامل الواقع الإمامي ، فهو ليس انعكاساً لواقع وإتّما هو تعبير عن حقيقة ربانية نطق بها من لا ينطق عن الهوى ، فقال : «الخلفاء بعدي اثنا عشر» ليكون ذلك شاهداً ومصدقاً لهذا الواقع المبتدئ بأمر المؤمنين علي والمنتهي بالإمام المهدي عليهم السلام وهو التطبيق الوحيد المعقول لذلك الحديث(11).

فالصحيح إذن أن يعتبر الحديث من دلائل النبوة في صدقها عن الإخبار بالمغيّبات، أمّا محاولات تطبيقه على من عرفوا بنفاقهم وجرائمهم وسفكهم للدماء من الأمويين والعباسيين وغيرهم فهو يخالف الحديث مفهوماً ومنطوقاً على الرغم مما في ذلك من إساءة بالغة إلى مقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذ يعني ذلك انه أخبر ببقاء الدين إلى زمان عمر بن عبد العزيز مثلاً ، لا إلى ان تقوم الساعة !!

النص على الأئمة الاثني عشر عليهم السلام يوضح المراد بالخلفاء الاثني عشر :

لأجل متابعة الأدلة الأخرى التي توضح المراد بحديث : (الخلفاء اثنا عشر) ، ونُعيّن لنا شخص الإمام المهدي باسمه ونسبه وحسبه ؛ لابدّ من التذكير قبل ذلك بأمرٍ هو في غاية الأهمية ، بحيث لو تدبّر المنصف ، وأمعن النظر فيه لما بقيت هناك أدنى غشاوة على عينيه ، ولاكتفى بالمقاييس السابقة التي تركها لنا النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم لمعرفة امام الزمان في كل عصر وجيل ، ولم يطلب بعدها أي دليل آخر .

وأعني بهذا الأمر تاريخنا الاسلامي الذي تعاقبت عليه منذ البدء أنظمة اتفقت على اقضاء عترة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عن السلطة اقضاء تاماً ، فضلاً عما اقترفته تلك الانظمة - الأموية والعباسية - من الأمور الفادحة بحق الذرية الطاهرة .

ومن البداهة ان يعزّ النص على الأئمة الاثني عشر في الكتب المؤلّفة بوحى من الحكّام وفي ظل تلك الانظمة التي اجتاحت آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وأوشكت ان تبيد أولاد البتول عليهم السلام ، حين ضرّجت رمضاء كربلاء بدم خامس أصحاب الكساء صلوات الله عليه وسلم .

ومن غير المعقول ان يدين الظالم نفسه فيسمح برواية كون المهدي هو التاسع من أولاد الحسين عليه السلام ،

أو أن المقصود بالخلفاء الاثني عشر هم أئمة الشيعة الاثني عشر ، اللهم إلا ما خرج من تلك الروايات عن رقابته،
وَرُوي بعيداً عن مسامعه . وعلى الرغم من هذا الحصار فإن ما ظهر منها انتشر كضوء النهار.

ولا يصح في الأفهام شيء * إذا احتاج النهار إلى دليل

وهذا مما لا ينبغي اغفاله، ونحن نستعرض باختصار بعض الاحاديث المبيّنة لمعنى (الخلفاء اثنا عشر).

1 - في ينابيع المودة للقندوزي الحنفي : نقلاً عن كتاب المناقب للخوارزمي الحنفي بسنده عن الإمام الرضا عليه السلام ، عن آبائه عليهم السلام ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث جاء فيه التصريح باسماء الأئمة الاثني عشر واحداً بعد واحد ابتداءً بأمر المؤمنين علي بن ابي طالب وانتهاءً بالامام المهدي محمد بن الحسن العسكري عليهم السلام .

قال القندوزي بعد روايته : «وأخرجه الحموييني» أي : صاحب فرائد السمطين الجويني الحموييني الشافعي .

2 - وفي الينابيع أيضاً تحت عنوان : (في بيان الأئمة الاثني عشر باسمائهم) . أورد عن فرائد السمطين بسنده عن ابن عباس حديثين عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ذكر الأئمة باسمائهم، وأولهم علي وآخرهم المهدي عليهم السلام ، ونفس الشيء تجده في باب (في ذكر خليفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع أوصيائه عليهم السلام).

3 - وفيه أيضاً ، عن جابر بن عبد الله الانصاري ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «يا جابر إنَّ أوصيائي وأئمة المسلمين من بعدي ، أولهم علي ثم الحسن، ثم الحسين...» ثم ذكر الأئمة التسعة من أولاد الحسين باسمائهم ابتداءً بعلي بن الحسين وانتهاءً بالامام المهدي بن الحسن العسكري عليهم السلام (12)

4 - وفي كمال الدين : «حدثنا الحسين بن أحمد بن ادريس رضي الله عنه ، قال : حدثنا أبي، عن أحمد بن محمد بن عيسى؛ وابراهيم بن هاشم جميعاً، عن الحسن بن محبوب، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام ، عن جابر بن عبد الله الانصاري قال : دخلتُ على فاطمة عليها السلام وبين يديها لوح فيه اسماء الأوصياء ، فعددت اثني عشر اسماً آخرهم القائم ، ثلاث منهم محمد ، وأربعة منهم علي صلوات الله عليهم» (13).
ورواه من طريق آخر عن أحمد بن محمد بن يحيى العطار ، عن أبيه ، عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب ، عن الحسن بن محبوب إلى آخر السند المتقدم.

وقد يقال : ان السند غير حجة من وجهين :

الأول : إنَّ الحسين بن أحمد بن ادريس في السند الاول، وأحمد بن محمد بن يحيى العطار في السند الثاني لم يوثقا.

قلتُ : هما من مشايخ الاجازة، ولم يذكر الصدوق أحدهما في جميع كتبه إلا مترضياً عليه ، ومن البدهة ان لا يقال للفاسق (رضي الله عنه) بل يقال ذلك للرجل الجليل ، ولو تنزلنا بعدم دلالة هذا اللفظ على الوثاقة، فإنّه من البعيد كل البعد ان يتفق كل منهما على الكذب على أبيه ؛ لانهما روى الحديث عن أبييهما .
ومما يدل على صدقهما ان الكليني أخرج الحديث بسند صحيح عن أبي الجارود وابتدأ السند بوالد شيخ الصدوق محمد بن يحيى العطار ، عن محمد بن الحسين ، عن ابن محبوب ، عن أبي الجارود ، عن أبي جعفر عليه السلام ، عن جابر بن عبد الله الانصاري (14)، والمشايخ الثلاثة الأوّل في هذا السند من أجلاء المحدثين وثقاتهم المشهورين بالاتفاق .

الثاني : إنَّ أبا الجارود قد طعن عليه فالسند ليس بحجة.

والجواب : إنَّ أبا الجارود تابعي ، ومن أين للتابعي أن يعلم بأنَّ في اسماء الأوصياء عليهم السلام ثلاثة باسم

محمد ، وأربعة باسم علي ؟! وهذا هو المنطبق مع الواقع ، وقد مات أبو الجارود قبل اتمام هذا الواقع بعشرات السنين ، على أنَّ الشيخ المفيد قد وثقه في رسالته العددية. هذا ، والصدوق أخرج حديث اللوح في أول الباب بهذا السند قال : «حدثني أبي ، ومحمد بن الحسن رضي الله عنهما ، قالا : حدثنا سعد بن عبدالله ، وعبدالله بن جعفر الحميري جميعاً ، عن أبي الحسن صالح بن حماد والحسن بن طريف ، عن بكر بن صالح .

وحدثنا أبي ، ومحمد بن موسى المتوكل ، ومحمد بن علي ماجيلويه ، وأحمد بن علي بن ابراهيم ، والحسن بن ابراهيم بن ناتانة ، وأحمد بن زياد الهمداني رضي الله عنهم قالوا : حدثنا علي بن ابراهيم ، عن أبيه ابراهيم بن هاشم ، عن بكر بن صالح ، عن عبد الرحمن بن سالم ، عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام .. الحديث». والسندان صحيحان إلى بكر بن صالح الذي ضَعَف. ولا يضر ضعفه هنا لأنه من غير المعقول ان يخبر الرجل الضعيف عن شيء قبل أوانه ثم يتحقق ذلك الشيء على طبق ما أخبر به ، ثم لا يكون المخبر - بعد ذلك - صادقاً ، فالرجل روى عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام فمن أين له ان يعلم بأولاده وصولاً إلى المهدي عليه السلام ؟! وهو كما يبدو من طبقته لم يدرك الأئمة (الهادي والعسكري والمهدي عليهم السلام) ، ويدلك على هذا إن من مشايخ الحسن بن طريف الراوي عن بكر بن صالح في السند الاول ، هو ابن أبي عمير (ت/217 هـ) ، ومن في طبقته .

5 - ما في كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر للخزاز - من أعلام القرن الرابع الهجري - : فقد خصص كتابه كله في الأحاديث الواردة في النص على الأئمة الاثني عشر باسمائهم ، ولامجال لنقل رواياته ، ولكن لأبأس بنقل ما جاء في مقدمة الكتاب ، قال : «وابتدئ بذكر الروايات في النصوص عليهم عليهم السلام من جهة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المعروفين مثل : عبدالله بن عباس ، وعبدالله بن مسعود ، وأبي سعيد الخدري ، وأبي ذر الغفاري ، وسلمان الفارسي ، وجابر بن سمرة ، وجابر ابن عبدالله ، وأنس بن مالك ، وأبي هريرة ، وعمر بن الخطاب ، وزيد بن ثابت ، وزيد بن أرقم ، وأبي أمامة ، وواثلة بن الأسقع ، وأبي أيوب الأنصاري ، وعمار بن ياسر ، وحذيفة بن أسيد ، وعمران بن الحصين ، وسعد بن مالك ، وحذيفة بن اليمان ، وأبي قتادة الأنصاري ، وعلي بن أبي طالب ، وابنيه : الحسن والحسين عليهم السلام . ومن النساء : أم سلمة ، وعائشة ، وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ثم أعقبه بذكر الأخبار التي وردت عن الأئمة صلوات الله عليهم ما يوافق حديث الصحابة في النصوص على الأئمة ونص كل واحد منهم على الذي بعده ؛ ليعلموا - إن انصفوا - ويدينوا به ، ولا يكونوا كما قال الله سبحانه : (فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) «(15)

6 - وأخرج في كمال الدين : عن محمد بن علي بن ماجيلويه ، ومحمد بن موسى بن المتوكل ، عن محمد بن يحيى العطار ، عن محمد ابن الحسن الصفار.

وعن محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد ، عن محمد بن الحسن الصفار ، عن أبي طالب عبدالله بن الصلت القمي ، عن عثمان بن عيسى ، عن سماعة بن مهران قال : « كنتُ أنا وأبو بصير ، ومحمد بن عمران مولى أبي جعفر عليه السلام في منزل بمكة ، فقال محمد بن عمران : سمعتُ أبا عبدالله عليه السلام يقول : « نحن اثنا عشر مهدياً » . فقال له أبو بصير : تالله لقد سمعتُ ذلك من أبي عبدالله عليه السلام ؟ فحلف مرة أو مرتين انه سمع ذلك منه ، فقال أبو بصير : لكني سمعته من أبي جعفر عليه السلام » (16).

وأخرجه الكليني عن محمد بن يحيى ، وأحمد بن محمد ، عن محمد بن الحسين ، عن أبي طالب ، عن عثمان بن عيسى ، عن سماعة بن مهران بتمام ألفاظه .

وهو كما ترى ليس في سنده من يُتأمل في وثاقته فجميعهم من ثقات الرواة وإن وُجد في سند الصدوق ممدوح فقد كان إلى جنبه الثقة المأمون، وفيه كفاية على بيان المراد من حديث : (الخلفاء اثنا عشر).

7 - وفي الكافي بسند صحيح جداً : عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد البرقي ، عن أبي هاشم داود بن القاسم الجعفري ، عن أبي جعفر الثاني عليه السلام قال : « أقبل أمير المؤمنين عليه السلام ومعه الحسن بن علي عليه السلام وهو متكئ على يد سلمان ... » وفيه ذكر الأئمة الاثني عشر جميعاً عليهم السلام ابتداءً بعلي عليه السلام وانتهاءً بالمهدي بن الحسن العسكري عليهما السلام.

قال الكليني : « وحدثني محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسن الصفار، عن أحمد بن أبي عبد الله ، عن أبي هاشم مثله سواء . قال محمد بن يحيى : فقلتُ لمحمد بن الحسن : يا أبا جعفر ، وددتُ ان هذا الخبر جاء من غير جهة أحمد بن أبي عبد الله ! قال ، فقال : لقد حدثني قبل الحيرة بعشر سنين » (17).

والمراد بالحيرة هنا : غيبة الإمام المهدي عليه السلام في سنة 260 هـ ، وهي السنة التي توفي فيها الإمام العسكري ، وما قاله محمد بن يحيى لا يوجب طعناً على أحمد بن أبي عبد الله البرقي ؛ لثقته بالاتفاق ، فكأن محمد بن يحيى تمنى أن يكون من حدّث شيخه الصفار بهذا الحديث قد مات في حياة الإمام العسكري أو الإمام الهادي عليهما السلام وليس البرقي الذي عاش إلى سنة 274 هـ ، أو 280 هـ ، على قول آخر ؛ لأنّ الإخبار عن شيء قبل وقوعه، وتحقيق ذلك الشيء على طبق الخبر يعد من الاعجاز الذي لا يحتاج في قوة ثبوته إلى شهرة الخبر بتعدد رواته، اذ لا مجال لتكذيبه بأي حال من الاحوال وان لم يروَ إلا بسند واحد .

فجاء الجواب من الصفار بأنّ ما رواه الثقة الجليل البرقي كان قبل وقوع الغيبة بعشر سنين . ولا يخفى على أحد بان المخبر - الذي لم يوثق - عن شيء قبل وقوعه، لا يشترط في قبول قوله أكثر من موافقته للشروط المنصوص عليها في قبول الخبر الضعيف ، أو تحقيقه على طبق خبره ؛ لأنه كاشف عن صدقه ، حتى وان لم توثقه كتب الرجال . ومثال هذا ما رواه الكليني والصدوق بسند صحيح ، عن أبان بن عياش، عن سليم بن قيس الهلالي ، عن عبد الله بن جعفر الطيار ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث جاء فيه النص على الإمام عليّ وبعده ابنه الحسن، ثم ابنه الحسين ، ثم علي بن الحسين ، ثم محمد الباقر عليهم السلام ثم ، قال : « ثم تكلمة اثني عشر إماماً تسعة من ولد الحسين » (18).

فضعف أبان بن أبي عياش لا يضر هنا لإخباره عن واقع قد تحقق على طبق ما أخبر بعد سنين من وفاته ، وفي كمال الدين للصدوق روايات كثيرة من هذا الطراز ، ولكن من لاخبرة له قد جعلها ساقطة عن الاعتبار لضعفها سنداً في زعمه!! على الرغم من انحصار الضعف بالرواة الذين ماتوا قبل اكتمال التسلسل التاريخي للأئمة الاثني عشر بأزمان بعيدة .

وينطبق هذا الاعجاز على غالبية أخبار غيبة الإمام الثاني عشر عليه السلام كما شهد بذلك الصدوق ، فقال : « إنّ الأئمة عليهم السلام قد اخبروا بغيبته عليه السلام ووصفوا كونها لشيعتهم فيما نقل عنهم، واستحفظ في الصحف ودوّن في الكتب المؤلفة من قبل ان تقع الغيبة بمائتي سنة أو أقل أو أكثر ، فليس أحد من أتباع الأئمة عليهم السلام إلا وقد ذكر ذلك في كثير من كتبه ورواياته ودوّنه في مصنفاته، وهي الكتب التي تعرف بالأصول مدونة مستحفظة عند شيعة آل محمد عليهم السلام من قبل الغيبة بما ذكرنا من السنين ، وقد اخرجت ما حضرني من الاخبار المسندة في الغيبة في هذا الكتاب في مواضعها .

فلا يخلو حال هؤلاء الاتباع المؤلفين للكتب أن يكونوا علموا الغيب بما وقع الآن من الغيبة ، فألفوا ذلك في كتبهم ودونوه في مصنفاتهم من قبل كونها ، وهذا محال عند أهل اللب والتحصيل . أو أن يكونوا أسسوا في

كتبهم الكذب فاتفق لهم الأمر كما ذكروا ، وتحقق كما وضعوا من كذبهم ! على بعد ديارهم ، واختلاف آرائهم ، وتباين أقطارهم ومحالهم. وهذا أيضاً محال كسبيل الوجه الأول ، فلم يبق في ذلك إلا أنهم حفظوا عن أئمتهم المستحفظين للوصية عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ذكر الغيبة وصفة كونها في مقام بعد مقام إلى آخر المقامات ما دونه في كتبهم وألفوه في أصولهم وبذلك وشبهه فلج الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقاً»(19) انتهى.

ولا يخفى أنّ الأصول التي أشار لها الصدوق متواترة النسبة إلى اصحابها عنده ، كتواتر نسبة كمال الدين إلى الصدوق عندنا ، وهذا يعني أنّ اخبار الغيبة حتى مع فرض انحصار الضعف بسندها ابتداءً فهو لا يقدح بصحتها بعد نقلها من تلك الكتب مباشرة ، وعلى الرغم من ذلك فسوف لن نحتج باخبار الشيعة الامامية إلا بما صح سنده مطلقاً إلى الإمام عليه السلام ، أو إلى من أخبر بالواقع الإمامي قبل اكتمال تسلسله التاريخي وإن لم تعرف وثاقته.

المهدي من أولاد الحسين ، وأنه التاسع من ولده عليهم السلام:

إنّ هذه النتيجة وإن ثبتت فيما تقدم إلا أنه لا بدّ من تأكيدها في هذا البحث ببعض النصوص التي احتج بها بعض أعلام أهل السنة أولاً ، وبالسيرة الصحيح عند الشيعة روماً للاختصار ، وهي :

1 - الحديث المروي عن سلمان الفارسي ، وأبي سعيد الخدري ، وأبي أيوب الانصاري ، وابن عباس ، وعلي الهلالي - بألفاظ مختلفة - عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : «يا فاطمة إنّنا أهل بيت اعطينا ست خصال لم يعطها أحد من الأولين ولا يدركها أحد من الآخرين غيرنا أهل البيت - إلى قوله صلى الله عليه وآله وسلم - ومنا مهدي الأمة الذي يصلي عيسى خلفه ، ثم ضرب على منكب الحسين عليه السلام فقال : من هذا مهدي الأمة»(20).

2 - في عقد الدرر للمقدسي الشافعي : روى خبراً عن علي عليه السلام جاء فيه : إنّ المهدي «من ولد الحسين، ألا فمن تولى غيره لعنه الله». وقد أورده المقدسي محتجاً به فقال : «ونختم هذا الفصل بشيء من كلام الإمام علي هازم الأبطال فيما تضمنه من الأهوال الشديدة والأمور الصعاب وخروج الإمام المهدي مفرج الكروب ، ومفرق الأحزاب» ثم ذكر الحديث.

3 - وفي عقد الدرر : أيضاً عن جابر بن يزيد ، عن الإمام الباقر عليه السلام في حديث طويل جاء فيه : «والمهدي ياجابر رجل من ولد الحسين»(21).

4 - وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي في شرح قول الإمام علي عليه السلام : «وبنا تُختم لا بكم». قال : «إشارة إلى المهدي الذي يظهر في آخر الزمان ، وأكثر المحدثين على أنه من ولد فاطمة عليها السلام ، وأصحابنا المعتزلة لا ينكرونه ، وقد صرحوا بذكره في كتبهم ، واعترف به شيوخهم - إلى أن قال - وروى قاضي القضاة رحمه الله تعالى عن كافي الكفاة أبي القاسم اسماعيل بن عباد رحمه الله باسناد متصل بعلي عليه السلام ، إنّ ذكر المهدي وقال : إنّ من ولد الحسين عليه السلام ، وذكر حليته فقال : رجل أجلى الجبين ، اقنى الأنف ، ضخم البطن ، أزيل الفخذين ، أبلغ الثنايا ، بفخذه اليمنى شامة .

وذكر هذا الحديث بعينه عبد الله بن قتيبة في كتاب غريب الحديث»(22) انتهى.

5 - وفي ينابيع المودة عن مناقب الخوارزمي : بسنده عن الحسين عليه السلام قال : «دخلت على جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاجلسني على فخذه وقال لي : إنّ الله اختار من صلبك يا حسين تسعة أئمة تاسعهم قائمهم ، وكلهم في الفضل والمنزلة عند الله سواء»

- 6 - وفي الينابيع عن مناقب الخوارزمي أيضاً ، بسنده عن سلمان قال : «دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإنّ الحسين بن علي على فخذيه وهو يقبل عينيه ويلثم فاه، وهو يقول : أنت سيد ابن سيد، أخو سيد، أنت إمام ابن إمام أخو إمام، أنت حجة أبو حجة، وأنت أبو حجج تسعة تاسعهم قائمهم»(23) .
- وحديث سلمان رضي الله عنه رواه الصدوق في كتاب الخصال بسند في غاية الصحة، قال : «حدثنا أبي رضي الله عنه ، قال : حدثنا سعد بن عبدالله قال : حدثنا يعقوب بن يزيد، عن حماد بن عيسى، عن عبدالله بن مسكان، عن أبان بن تغلب، عن سليم بن قيس الهلالي، عن سلمان الفارسي رحمه الله قال : دخلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإذا الحسين على فخذيه وهو يقبل عينيه ويلثم فاه وهو يقول : أنت سيد ابن سيد ، أنت امام ابن امام أبو الأئمة ، أنت حجة ابن حجة أبو حجج تسعة من صلبك ، تاسعهم قائمهم»(24).
- 7 - وفي أصول الكافي : عن علي بن ابراهيم ، عن أبيه ابراهيم بن هاشم، عن محمد بن أبي عمير ، عن سعيد بن غزوان ، عن أبي بصير ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : «يكون تسعة أئمة بعد الحسين بن علي تاسعهم قائمهم»(25).
- ورواه الصدوق ، عن أبيه ، عن علي بن ابراهيم كما في الكافي سنداً وممتناً وليس في واحد من رجال السند من يُشك في جلالته ، أو يُرتاب في نقله.
- 8 - وفي الينابيع عن فرائد السمطين للحموي الجويني الشافعي : بسنده عن الأصمغ بن نباته، عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهرون معصومون»(26).

المصادر :

- 1- مستدرك الحاكم 3 : 109
- 2- سنن الترمذي 5 : 662 / 3786.
- 3- الاحزاب : 33 / 33
- 4- الصواعق المحرقة : 149.
- 5- صحيح البخاري 5 : 13 باب الفتن ، صحيح مسلم 6 : 21 - 22 / 1849 .
- 6- عيون الاخبار : 7 ، واليعقوبي في تاريخه 2 : 400 ، العقد الفريد 1 : 265.
- 7- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد 18 : 351.
- 8- شرح نهج البلاغة / الشيخ محمد عبده 4 : 691 / 85 ، وشرح ابن أبي الحديد 18 : 351 / أصول الكافي 1 : 136 / 1
- 9- صحيح البخاري 4 : 164 ، والخصال 2 : 469 و 475 . مسند أحمد 5 : 90 الى 107
- 10- المائدة : 5 / 12.
- 11- صحيح مسلم 2 : 121.
- 12- ينابيع المودة 3 : 170 باب 94 .
- 13- كمال الدين 1 : 313 / 4 باب 28.

- 14- أصول الكافي 1 : 532 / ح 9 باب 126 .
- 15- الجاثية: 17 /كفاية الأثر / الخزاز : 8 - 9 من المقدمة ...
- 16- كمال الدين 2 : 335 / 6
- 17- أصول الكافي 1 : 525 / 1 باب 126 .
- 18- أصول الكافي 1 : 529 / 4 باب 126 ، وكمال الدين 1: 270 / 15 باب 24، والخصال 2 : 477 / 41
- 19- كمال الدين 1 : 19
- 20- الفصول المهمة / لابن الصباغ المالكي : 295 - 296 فصل / 120 ،
- 21- عقد الدرر : 126 باب 4 فصل 2 .
- 22- شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد 1 : 281 - 282 شرح الخطبة رقم / 16.
- 23- ينابيع المودة 3 : 167 باب 94 .
- 24- الخصال 2 : 475 / 38 أبواب الاثني عشر، وكمال الدين 1 : 262 / 9 باب 24
- 25- أصول الكافي 1 : 533 / 15 باب 126
- 26- ينابيع المودة 3 : 162 باب 94، ورواه في 2 : 83